

ظاهرة التأويل في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم

محمد بن صالح
جامعة المسيلة

الملخص:

يقوم النحو العربي على مجموعة من الأسس المنهجية، التي التزم بها النحاة، وساروا على هديها، وعملوا بمقتضاها، عرفت تلكم الأسس بأصول النحو العربي، ومن بينها (التأويل). ولا يخفى ما للبحث في هذه الأسس والأصول من أهمية، لأنها تعد نقطة البدء الموضوعية لحل الكثير من المشكلات التفصيلية.

وهذا المقال يهدف إلى دراسة هذه الظاهرة وما يتصل بها من قواعد وتعليقات، ويحاول عرض مسائلها عرضا يكشف عن خباياها كما وردت في كتب التراث اللغوي القديم، مستشهدا بما جاء عليها في القرآن الكريم.

Résumé:

La grammaire arabe repose sur des fondements méthodiques, que les grammairiens ont respecté et appliqué, ces fondements étaient connus par les principes de la grammaire arabe et parmi les quelles (l'interprétation). on ne peut nier l'importance de ces fondements et de ses bases parce que c'est le point de départ objectif pour résoudre beaucoup de problématiques de détail.

Cet article vise à étudier ce phénomène et de présenter ses problématiques d'une façon à découvrir ses secrets tels qu'ils ont été révélés dans les anciens livres du patrimoine linguistique en s'appuyant sur le saint coran et on démontrant le côté miraculeux et esthétique de ce phénomène comme il a été rapporté dans le livre d'Allah, le Tout-Puissant.

يعد (التأويل) واحدا من الأسس والأصول المهمة التي قام عليها النحو العربي، إذ كان له الدور الكبير، والأثر الواضح في توجيهه. ولفهم هذه الظاهرة النحوية لابد من الوقوف على نظرة النحاة العرب لظاهرة (التأويل النحوي).

1- تعريف التأويل عند اللغويين:

جاء التأويل عند اللغويين بمعان كثيرة منها:

أ - التدبير والتقدير: يقول ابن منظور: (أول الكلام وتأوله: دبره وقدره)⁽¹⁾،

ب- التفسير والتبيين: يقول الأزهري في التهذيب: (التأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه)⁽²⁾.

ج- الرجوع والعاقبة:

فمنهم من اعتبره بمعنى (رجع) وعليه يكون الأصل (آل يؤول أولاً)، آل النصف إلى الربع: رجع⁽³⁾ وفي تاج العروس: (أوله إليه تأويلاً: أرجعه)⁽⁴⁾.

ومنهم من اعتبره بمعنى (العاقبة)، جاء في أساس البلاغة للزمخشري في تفسير القول المأثور: (لا تعول على الحسب تعويلاً، فتقوى الله أحسن تأويلاً) قال: (أي أحسن عاقبة)⁽⁵⁾.

وفي القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء: 59). قال ابن كثير في تفسيره: أي أحسن عاقبة ومآلاً⁽⁶⁾.

د- التحري والطلب والتوسم:

يقول ابن منظور: (تأولت الأجر في فلان: تحريته وطلبت⁽⁷⁾)، وقال الزمخشري: (تأملته، فتأولت فيه الخير: أي توسمته)⁽⁸⁾.

هـ- التدبير والتقدير والتفسير:

يقول الفيروز أبادي في قاموسه: (وأول الكلام تأويلاً، وتأوله: دبّره وقدره وقسّره)⁽⁹⁾.

2 - تعريف التأويل عند النحاة:

إن النحاة مارسوا التأويل بكثرة في تطبيقاتهم النحوية إلا أنهم لم يتناولوا معناه على أساس كونه فكرة كما تناوله اللغويون، إذا استثنينا نصاً رواه السيوطي عن أبي حيان في شرح التسهيل، قال السيوطي:

(1) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، مادة (أول).

(2) الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1384هـ- 1964 م، مادة (آل).

(3) المرجع السابق، مادة (آل).

(4) الزبيدي: تاج العروس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1385هـ- 1965 م، مادة (أول).

(5) الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، لبنان، مادة (أول).

(6) الحافظ بن كثير: تفسير القرآن الكريم، تحقيق: د/ السيد محمد السيد، دار الحديث، القاهرة، 2002 م، 385/2.

(7) ابن منظور: لسان العرب، مادة (أول).

(8) الزمخشري: أساس البلاغة، مادة (أول).

(9) الفيروز أبادي: القاموس المحيط، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، (د.ت)، مادة (آل).

(قال أبوحيان في شرح التسهيل: التأويل إنما يسوغ إذا كانت الجادة على شيء، ثم جاء شيء يخالف الجادة فيتأول)⁽¹⁾.
أي أنه إذا ورد عن العرب الأقدمين نص يصادم قاعدة نحوية فإن النحاة يؤولونه بما يوافق قواعدهم النحوية أو اللغوية.
ويرى الدكتور محمد عيد في أصول النحو العربي أن التأويل هو: (صرف الكلام عن ظاهره إلى وجوه خفية تحتاج لتقدير وتدبر، وأن النحاة أولوا الكلام وصرفوه عن ظاهره لكي يوافق قوانين النحو وأحكامه)⁽²⁾.

ومن يتتبع استعمال النحاة لكلمة (تأويل) أو لمضمونها وجدهم يلجئون إليها للحفاظ على قواعدهم، فيصرفون ما خالفها عن ظاهره ويدعون له وجها - قد يكون غريبا - لصرف الأنظار عن مصادمته للقواعد التي وضعوها، ومن الأمثلة على ذلك:
أ - لا يجوز عند سيبويه وقوع فعل أمر ومعموله خبرا لمبتدأ، وفي القرآن الكريم: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة: 38).
فجمله: (فاقطعوا أيدهما) وقعت خبرا للمبتدأ: (والسارق والسارقة)⁽³⁾، وهو ما ينافي قاعدة البصريين بشكل واضح، لذا تأولوه على النحو التالي: (فيما يتلى عليكم فاقطعوا أيديهما)⁽⁴⁾.

ب - ومنع البصريون دخول (رب) على الفعل المضارع قائلين: إنها تختص بالماضي، في حين نجد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوِ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (الحجر: 2).
والشاعر يقول⁽⁵⁾:

ربما تجزع النفوس من الأم - ر له قرجة كحل العقال
وحفاظا على قاعدتهم قالوا: لقد دخلت (رب) على الفعل المضارع (يود) لكونه صدقا قطعاً، فهو بمنزلة الماضي⁽⁶⁾، كما أولوا الفعل

(1) السيوطي: الاقتراح، تحقيق: د/محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، 1426هـ - 2006 م، ص: 34.
(2) محمد عيد: أصول النحو العربي، عالم الكتب، القاهرة، 1982، ص: 185.
(3) ابن النحاس: إعراب القرآن، تحقيق: د/زهير غازي زاهد، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1426هـ - 2005 م، ص: 285.
(4) العكبري: إملاء ما من به الرحمن، راجعه: نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، لبنان، ط 1، 1423هـ - 2002 م، ص: 193.
(5) الشاعر هونيف بن عمير اليشكري شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، ذكره ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة.
(6) العكبري: التبيان في إعراب القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1426هـ - 2005 م، 91/2.

(تجزع) فقالوا: مضارع بمعنى الماضي وتقديره ربما جزعت النفوس .

ج - كما منع البصريون حذف الفاعل قائلين: إنه عمدة - أي أساسي - لا يجوز حذفه، لأن الفاعل وفعله كجزأي كلمة لا يغني أحدهما عن الآخر، وأما الكوفيون فقالوا: يجوز حذف الفاعل إذا لم يضر حذفه بوضوح الكلام واحتجوا بقول الشاعر (1):

فإن كان لا يرضيك حتى تردني إلى قطري لا إخالك راضيا
وأما البصريون - الذين لا يطعنون في صحة البيت وفصاحة صاحبه - فأولوه بقولهم: (فإن كان هو) .

على أساس أن (كان) فعل تام وليس فعلا ناقصا، كما في قولنا: (لم يكن آدم موجودا فكان) لكون المستقبل صدقا قطعاً بمنزلة الماضي .

3 - أدوات التأويل:

أ - الحمل على المعنى:

اهتم القدامى بمسألة الحمل على المعنى اهتماما كبيرا إذ جعلوه وسيلة من وسائل فهم العدول اللغوي، فها هو ابن فارس يطالعنا بباب صغير في كتابه (الصاحبي)، وسمه بـ: (الحمل على المعنى) يقول فيه: (هذا باب يترك حكم ظاهر لفظه، لأنه محمول على معناه، يقولون: ثلاثة أنفس، والنفس مؤنث، لأنهم حملوه على الإنسان) (2).

وأما ابن جني فلقد وقف عنده وقفة طويلة أدرج في أثناؤها مسائل كثيرة متداخلة، وجعل ذلك من باب شجاعة العربية، ذكر فيه: (أن العرب إذا حملت على المعنى لم تكد تراجع اللفظ) (3) .

وأكد هذا النظر في موطن آخر من أن الحمل على المعنى: (قد شاع، واتسع عنهم حمل ظاهر اللفظ على معقود المعنى، وترك الظاهر إليه، وذلك كتذكير المؤنث، وتأنيث المذكر، وإفراد الجماعة، وجمع المفرد، وهذا فاش عنهم) (4).

ومن أمثلة الحمل على المعنى في الشع: قول النواح الكلابي (5):
وإن كلاباً هذه عشر أبطن وأنت بريء من قبائلها العشر

(1) الشاعر هوسرار بن مضرب السعدي كتب هذا البيت عندما فر من الحجاج.

(2) ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق: د / مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر بيروت، لبنان، 1963، ص: 253.

(3) ابن جني: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، لبنان، 420/1.

(4) ابن جني: البحتسب، تحقيق: علي النجدي ناصف وزميله، للجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1966 م، 38/1.

(5) سيبويه: الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، ط 3، 1983 م، 565/3.

فَدَتَّكَرَ العدد مع المعدود المذكر، وكان حقه أن يقول في العدد (عشرة)، ولكنه خالف في ذلك ذهاباً إلى المعنى، لأنه حَمَلَ المعدود (أبطن) على معنى (قبائل)، وأبان عن ذلك في عجز البيت بقوله: (من قبائلها العشر).
وقول الشاعر (1):

أما الوسامة أوحسنُ النساءِ فقد أُوتيتَ منه لوأنَّ العقل مُحنتُك
فالضمير في (منه) جاء مفرداً مذكراً بعدما سبق بشيئين هما: (الوسامة) و(حسن النساء)، وكان القياس أن يقول الشاعر (منهما) إلا أنه جعلهما شيئاً واحداً متحداً في المعنى، لأن الوسامة هي الحسن، وكلاهما الجمال، فتوحد المعنى آذن بتوحد اللفظ، على أن المذكر قد غلب على المؤنث في هذه المسألة، لأن الجمال مذكر، فقال: منه.

ومما جاء في القرآن الكريم من الشواهد على هذه الظاهرة: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ (الطلاق: 1)، فقد بدأ بخطاب النبي صلى عليه وسلم بقوله: (يا أيها النبي) ثم أخبر عن ذلك الأفراد بالجمع في قوله: (طلقتن) لأنه ذهب في الجمع إلى الرسول صلى عليه وسلم وأمته (2).

وقوله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (القيامة: 14). ذهب المفسرون مذاهب شتى في تأويل هذه المسألة، وحملوا الخبر (بصيرة) على معنى (شاهد)، فالبصيرة بمعنى شاهد، وهو شهود الجوارح، وهذا تفسير ابن عباس (3).

وقوله تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: 203).

ذهب أصحاب التفسير وأصحاب المعاني إلى أن اسم الإشارة (هذا) يعود على القرآن والوعظ، لأن ما فيه من معالم الدين وشعائر الشرائع بمنزلة البصائر في القلوب (4)، وجاء الخير (بصائر) جمعاً ليطابق ما تضمنه المبتدأ من تعدد، ومن هنا فالمبتدأ والخبر متطابقان حملاً على المعنى.

(1) الأخفش: معاني القرآن، تحقيق: د/ فائز فارس، المطبعة العصرية، الكويت، ط 1، 1979، ص 81/1.

(2) الزمخشري: الكشاف، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 2، 554/4.

(3) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط 2، 1372 هـ - 1952 م، ص 99/19.

(4) الألوسي: روح المعاني، قرأه وصححه: محمد حسين العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 228/25.

وكذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ (العنكبوت: 49).

ذهب كل من الفراء والألوسي والنحاس إلى أن الضمير (هُوَ) يعود على القرآن، ودليلهم في ذلك قراءة عبد الله (بَلْ هِيَ آيَاتٌ) يريد: بَلْ آيَاتُ الْقُرْآنِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ⁽¹⁾، وبهذا تتم المطابقة بين المبتدأ والخبر حملاً على المعنى .

ب - الحمل على الفصل:

الفصل في اللغة (القطع) و(التفريق)⁽²⁾، وهذا واضح في قولهم: فصل بين الشيئين فصلاً إذا فرَّق، والشيء عن غيره (أبعده) وعليه يقال: فصل بين الخصمين إذا ظهر الحق على أحدهما، فزال تعلق أحدهما بصاحبه فتباينا⁽³⁾.

ومما ذكره النحاة من شواهد الشعر على ظاهرة الفصل:

قول جرير:

لَقَدْ وَلَدَ الْأَخِيْطَلُ أُمٌ سُوْءٌ عَلَى بَابِ اسْتِثْنَاءٍ صَلْبٍ وَشَامٍ
فالفاعل (أُمٌ سُوْءٌ) مؤنث حقيقة ومع ذلك سقطت تاء التأنيث من الفعل (ولد) بسبب الفصل بينهما بالمفعول به (الأخيطل) .
وكذلك قول الشاعر⁽⁴⁾:

إِنَّ امْرَأَ غَرَّةٍ مِثْكَنٌ وَاحِدَةٌ بَعْدِي وَبِعَدَاكَ فِي الدُّنْيَا لَمَعْرُورٌ
فقد ذَكَرَ الفعل (غَرَّةٌ) وفاعله مؤنث (وَاحِدَةٌ) بسبب الفصل بينهما بـ (مِثْكَنٌ).

ومما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ﴾ (المتحنة: 10).
ذهب ابن هشام إلى أن الفعل (جَاءَكُمْ) لم يطابق فاعله (الْمُؤْمِنَاتُ) في التأنيث بسبب الفصل بالضمير (كم)، ولأن الأصل: (إِذَا جَاءَكُمْ النِّسَاءُ الْمُؤْمِنَاتُ)، وفي هذه الحالة يجوز إسقاط (النساء) لأن (النساء) مؤنث غير حقيقي لأنه جمعٌ تكسير⁽⁵⁾. وقوله تعالى: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ (سبا: 14)

(1) الفراء: معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط3، 1403هـ- 1983 م، 317/2.

(2) الزبيدي: تاج العروس: مادة (فصل).

(3) العسكري: الفروق في اللغة، تحقيق: حسام الدين المقدسي، دار زاهد المقدسي، (د.ت)، ص: 124.

(4) ابن هشام: شرح شذور الذهب، مراجعة وتصحيح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1419هـ- 1998 م، ص: 229.

(5) ابن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط8، 1986 م، 361/1.

فالفعل (دَلَّهُمْ) لم يطابق فاعله (دَابَّةٌ) في التأنيث بسبب الفصل بـ: (إلا)، رغم أن المراد بـ (دَابَّةٌ): الأَرْضَةُ وهي دُوَيْبَةُ صغيرة تأكل الخشب ونحوه⁽¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَقَاعَةٌ﴾ (البقرة: 48). فقد ذكر الفعل (يُقْبَلُ) مع الفاعل المؤنث (شَقَاعَةٌ)، وقالوا إنما ذكر الاسم المؤنث لأن كل مؤنث فرقت بينه وبين فعله حسن أن تذكر فعله وقوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ (البقرة: 150). قال أبوحيان: (الحجة تأنيثها غير حقيقي، وحسن ذلك الفصل بين الفعل (يكون) ومرفوعه (حجة) بمجرورين فسهل التذكير)⁽²⁾. ج- الحمل على الجوار:

لقد برز هذا المسوغ في المسألة المنقولة عن العرب (هذا جُحْرٌ ضُبٌّ خرب)، قال سيبويه: (وقد حملهم قرب الجوار على أن جروا: هذا جُحْرٌ ضُبٌّ خرب، ونحوه فكيف ما يصح معناه)⁽³⁾. ثم ذكر نظر الخليل في هذه المسألة: ومما جرى نعتا على غير وجه الكلام: هذا جُحْرٌ ضُبٌّ خرب، فالوجه الرفع، وهو كلام أكثر العرب وأصحهم، وهو القياس، لأن الخرب نعت الجحر، والجحر رفع، ولكن بعض العرب يجره وليس بنعت للضب، ولكنه نعت للذي أضيف إلى الضب فجروه، لأنه نكرة كالضب، ولأنه في موضع يقع فيه نعت الضب، ولأنه صار هو الضب بمنزلة اسم واحد⁽⁴⁾. ومما جاء في الشعر من الشواهد على هذه الظاهرة قول دريد بن الصمة⁽⁵⁾:

فَطَاعَتْ عَنْهُ الْخَيْلَ حَتَّى تَنْهَتَتْ وَحَتَّى عَرَانِي حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدُ
فالشاعر جرَّ (أَسْوَدَ) وهونعت لـ: (حَالِكُ)، لمجاورته (اللون)، وكان القياس أن يكون مرفوعا. وقول امرئ القيس⁽⁶⁾:

(1) الألويسي: روح المعاني، 176/22.

(2) أبوحيان: البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1992 م، 41/2.

(3) سيبويه: الكتاب، 68/1.

(4) المرجع السابق، 344/1.

(5) ابن يعيش: التهذيب الوسيط في النحو، تحقيق: د/فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991 م، ص: 253.

(6) الزوزني: شرح المعلقات السبع، قدم له: ظافر كوجان، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1969 م، ص: 106.

سلطان ثبير: جيل. والعرائن: مفردة العرنين وهو الأنف، واستعار الشاعر العرائن لأوائل المطر لأن الأنوف تتقدم الوجوه. والويل: جمع وابل وهو المطر الغزير. والبجاد: كساء مخطط. والتزميل: التلغيف بالثياب. ومعنى البيت: كان ثبيراً في أوائل مطر هذا السحاب سيد أناس قد تلفف بكساء مخطط.

كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَائِنِ وَبَلِّهِ كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ *
فالشاعر جر (مُزْمَلٌ) وهونعت لـ: (كَبِيرُ أَنْاسٍ)، لمجاورته النكرة (بَجَادٍ)، وكان القياس أن يكون مرفوعاً أيضاً.

ومما جاء في القرآن الكريم من الشواهد على هذه الظاهرة:
قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ (هود: 84).
فالنعت (مُحِيطٌ) وهو وصف لـ (عَذَابَ يَوْمٍ) جاء مجروراً بالمجاورة،
والقياس أن يكون منصوباً، وهذا ما عبر عنه العكبري بقوله: (و)
مُحِيطٌ: نعت لليوم في اللفظ، وللعذاب في المعنى (1).
وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات: 58).
(الْمَتِينُ) بالرفع صفة لـ: (الرَّزَّاقُ) .

وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش (الْمَتِينُ) بالخفض على النعت للقوة،
وزعم أبو حاتم أن الخفض على قرب الجوار (2) .
وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَوِيرٌ﴾ (القمر: 3).
ذهب العكبري إلى أن هناك من يقرأ (مُسْتَوِيرٌ) بالجر، صفة لـ (أَمْرٍ)
لمجاورتها له (3)، والقياس فيها أن تكون مرفوعة لأنها خبر المبتدأ
(كُلُّ). وقوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ طَوْرَ التَّائِمِينَ﴾ (طه: 80).
ذهب الألوسي إلى أن هناك من قرأ (التَّائِمِينَ) بالجر حملاً على الجوار
نحو (هذا جَحْرٌ ضَبٌّ خَرِبٌ) (4) .

ومن خلال هذه الشواهد نلاحظ أن أغلب ما ورد من ظاهرة الحمل
على الجوار هو من القراءات القرآنية.

النتائج:

1- إن المتأمل في المؤلفات النحوية والتفسير القرآنية ذات الطابع
اللغوي وكتب الإعراب القرآني يجد فيها الكثير من التحليلات النحوية
التي كان للتأويل النحوي فيها الدور الأساس والفعال، إذ لا تحليل من
دون تأويل.

2- إن التأويل النحوي يمكننا من فهم النص القرآني، ومن كتب
التفسير التي تعتمد كثيراً على وسائل تأويلية لفهم أسرار النص القرآني
الكشاف للزمخشري، والبحر المحيط لأبي حيان..

(1) العكبري: إملاء ما من به الرحمن، ص: 297، والألوسي: روح المعاني، 11/172.

(2) ابن النحاس: إعراب القرآن، ص: 884.

(3) العكبري: إملاء ما من به الرحمن، ص: 492.

(4) الألوسي: روح المعاني، 16/349.

- 3- إن التأويل بمختلف صورهِ ومظاهرهِ التي يتجلى فيها يسعى إلى التوفيق بين القواعد والنصوص التي تكون مخالفة لها، والتي تنتسب إلى عصر الاستشهاد.
- 4- إنه آلية تساعد على تفسير الكلام في مستواه الظاهري ومستواه الباطني، بإعادة صياغته وتحويله، وهنا تكمن معرفة أصل الكلام وفهمه برده إلى بابه
- 5- إن التأويل في النحو العربي ليس ذلك المرض الذي يجب التخلص منه، بل هو أداة هامة وأساسية من أدوات بناء العلم ذاته .

المصادر والمراجع:

- 1- ابن منظور: لسان العرب ، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1.
- 2- ابن النحاس: إعراب القرآن ، تحقيق: د/ زهير غازي زاهد، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1426هـ - 2005 م.
- 3- ابن جني: المحتسب، تحقيق: علي النجدي ناصف وزميله، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1966 م.
- 4- ابن جني: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، لبنان .
- 5- ابن فارس: الصحابي في فقه اللغة ، تحقيق: د/ مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر بيروت، لبنان، 1963 م
- 6- ابن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط8، 1986 م .
- 7- ابن هشام: شرح شذور الذهب ، مراجعة وتصحيح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1419 هـ - 1998 م
- 8- ابن يعيش: التهذيب الوسيط في النحو، تحقيق: د/ فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991 م.
- 9- أبوحيان: البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1992 م
- 10- أبو هلال العسكري: الفروق في اللغة، تحقيق: حسام الدين المقدسي، دار زاهد المقدسي، (د.ت) .
- 11- الأخفش: معاني القرآن، تحقيق: د/ فائز فارس، المطبعة العصرية، الكويت، ط1، 1979 م
- 12- الأزهرى: تهذيب اللغة ، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، 1384هـ - 1964 م.
- 13- الأوسى: روح المعاني، قرأه وصححه: محمد حسين العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان .
- 14- الحافظ بن كثير: تفسير القرآن الكريم، تحقيق: د/ السيد محمد السيد، دار الحديث، القاهرة، 2002 م .
- 15- الزبيدي: تاج العروس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1385 هـ - 1965 م.
- 16- الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- 17- الزمخشري: الكشاف، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2 .
- 18- الزوزني: شرح المعلقات السبع، قدم له: ظافر كوجان، دار اليقظة العربية للتأليف و الترجمة والنشر، بيروت، 1969 م .
- 19- السيوطي: الاقتراح، تحقيق: د/ محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، 1426هـ - 2006 م .
- 20- العكبري: التبيان في إعراب القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1426هـ - 2005 م .
- 21- العكبري: إملأ ما من به الرحمن، راجعه: نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ - 2002م
- 22- الفراء: معاني القرآن ، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط3، 1403هـ - 1983 م .
- 23- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، (د.ت).
- 24- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم اليردوني، دار الشعب، القاهرة، ط2 ، 1372هـ - 1952 م .
- 25- سيبويه: الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، ط3، 1983 م .
- 26- محمد عيد: أصول النحو العربي ، عالم الكتب، القاهرة، 1982

دراسات فكرية وأدبية

سيمائية الشخصية في نص مسرحية اللثام لعبد القادر علولة - نموذجاً

بكري أحمد شكيب أستاذ مساعد «أ»
كلية الآداب واللغات / قسم اللغة العربية
جامعة د. مولاي الطاهر بسعيدة

الملخص:

مبدئياً، سأتناول في هذا البحث دراسة دلالات الشخصيات في نص مسرحية "اللثام" لعبد القادر علولة ؛ إذ سأدلف عرض تعريفات أولية ومختلفة لمصطلح الشخصية، ثم سأطبق بعضاً من النظريات السيميائية المهمة بدراسة الشخصية في نص مسرحية «اللثام»؛ والهدف من هذا كله - ككل باحث في السيميائيات - هي محاصرة المعنى داخل النص.
مقدمة منهجية:

قبل الشروع في تحليل نص مسرحية "اللثام" لعبد القادر علولة نموذجاً، يجدر بنا أن نسجل الملاحظات التالية:
يصبح المبدع الأدبي منفصلاً عن صاحبه بمجرد ما أن يضع هذا الأخير نقطة النهاية؛ ومن هنا يحق للدارس أن يتعامل مع النص على أنه إبداع لغوي بغض النظر عن مؤلفه والظروف التي صاحبت عملية الكتابة.

1- مفهوم الشخصية:

تعددت تعريفات الشخصية بتعدد المقاربات المنهجية التي تفاعلت معها، وسنقتصر هنا بعرض بعض التعريفات التي لها علاقة بالجنس الأدبي الذي نحن بصدد دراسته.
تعرف عزيزة مريدن الشخصية على أنها: «كائن إنساني الذي يتحرك في سياق الأحداث»¹، وفي كتاب نظرية الأدب ؛ يعرف رونييه ويليك وأوستين الشخصية على أنها: "... لا تنمو إلا من وحدات المعنى، إنما تصنع من الجمل التي تنقطعها"².
إذن تعد الشخصية كيانا نصياً؛ إذ المعنى الموجود في أي فن من الفنون هو الذي يعطيها كيانها.

1 عزيزة مريدن: القصة والرواية، دمشق، 1980، ص 27، 26.

2 أوستين وارين، رونييه ويليك: «نظرية الأدب»، ترجمة: محمد الدين صبيحي، مطبعة خليل الطرابشي، دت، ص 208.

ويأتي مصطلح الشخصية في معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية على أنها: "... من الذين يؤدّون الأحداث الدرامية في المسرحية المكتوبة أو على خشبة المسرح على شكل ممثلين، وكما قد تكون هناك شخصية معنوية تتحرك مع الأحداث ولا تظهر فوق خشبة التمثيل فقد يكون هناك أيضا رمز مجسّد يلعب دورا في القصة، كالمنزل أو البستان أو البلدة، أو نحو ذلك؛ فالشخصية _ إذن _ هي مصدر «الحبكة» التي يمكن أن تتطور من خلال الأفعال أو الأقوال التي تصدرها الشخصية. ..»¹ ؛ فالشخصية تأخذ في الجانب التمثيلي عدة أوجه تكون مؤنسنة أو غير مؤنسنة _ كالرمز المجسّد _ ، ويكون لها دورها في البناء المسرحي.

وقد حسم رولان بارت، هذا الأمر وذلك من خلال دراسته للشخصيات وجعلها في مستوى العوامل، ويرى بأن التحليل البنيوي لا يعالج أمر الشخصية من حيث هي جوهر، فلا مجال هنا للحديث عن الشخوص، لأن التحليل البنيوي لا يعرف الشخصية من حيث هي جوهر نفسياني أوكانت باعتبارها مشاركا Participant أو عونا Agent². فالبنوية تعتبر الشخصية كائننا نصيا أو ورقيا، وليست إسقاطات نفسية لمؤلفها.

2. البطاقة الدلالية للشخصيات³ وتواترها في نص مسرحية «اللائم»:

1.2 البطاقة الدلالية للشخصيات:

إن الدراسات النقدية الحديثة ترى أن لكل شخصية دورها مهما كانت
➤ برهوم: ابن أيوب الأصرم والفاخرية، يتيم الأب لم ير أباه قط، ملقب بالحشام؛ هذه الصفة لازمت منذ طفولته، تزوج من ابنة عمه الشريفة، تزوجا يوم الجمعة بعد الاستقلال بيوم تفائلا بالانتصار، اشتغل برهوم الحشام (الخجول) كعامل «متأهل» في مصنع الورق، عان برهوم عناء كبيرا قبل أن يشتغل في الشركة الوطنية للورق؛ عمل ذباحا (جزار)، باع الحوت (سماك) والهندي (ثمار تنمو بالمناطق الساحلية) وعمل في الخياطة؛ إذ كان يخطط «المطرح» (الأفرشة)، كما عمل حدادا وميكانيكيا، جادّ وحاذق في العمل، محبوب في الشركة الوطنية، منضبط في العمل ولا يغش.

¹ إبراهيم حمادة: «معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية»، مكتبة الأنجلومصرية _ القاهرة _ ط3، 1994، صص 155، 156

² ينظر عبد العالي بشير تحليل الخطاب السردى والشعري، دار الغرب للنشر والتوزيع، دط، دت، ص 22.

³ Philip Hamon, << Pour un statut sémiologique du personnage >>, in poétique du récit, ed, du seuil, p61

➤ الشريفة: ابنة غالم؛ وهي ابنة عم برهوم وزوجته، وصفت بأنها صارمة وصعبة المراس، كانت تحب ابن عمها منذ الصغر، تحمّلت مع زوجها المتاعب والمشاق، هاجروا من القرية إلى المدينة بسبب الفقر الذي كان متربعا عليها؛ طلبا للعيش الرغيد، تحمّلت معه ألوانا من المشاق في المدينة، سكنت معه في القزدير، ناما تحت المزابل، سكنا المقابر، كانت تساند وتآزر برهوم في كل موافقه، وتقوّي من عزمه إن هوزعف، ضحّت من أجل زوجها وأولادها لحماية الكيان الأسري.

➤ السي خليفة: المدعو «هوشي مين»، كبير في السن، عاش مغامرات غريبة، ذاق أصناف الهوان والتكيل، ذاق الضرب والسجن، عرف الجوع والغبن، جنّده فرنسا مكرها في الأربعينيات وبعثته إلى الهند الصينية ليقاّتل في حربها، فرّ من الجيش الفرنسي التحق بالفيتناميين وحارب ضد فرنسا وأمريكا، عاش ستة عشر سنة في الغربة والكفاح، رجع إلى أرض الوطن بعد الاستقلال، السي خليفة محبوب ومحترم من طرف الناس، احترامهم له تحوّل إلى تقدّيس فأصبح مثل المرباط*، وكل فرد كان يلقيه بلقب حسب المقتضى، فمنهم من كان يلقيه ب: «الحكيم»، ومنهم من لقيه ب: «لاندوشين» (الهند الصينية) ومنهم من لقيه ب: «الفيتنام» و«هوشي مين»، كان جارا لبرهوم في العمارة وكان يعرفه جيدا ويحترمه كثيرا.

➤ الفيلاي، لعرج، البكوش: هم رفاق برهوم في المؤسسة الوطنية لصناعة الورق، نقابيون ولهم توجهات ايديولوجية، همّهم الوحيد؛ المصلحة العامة للعمال، كلّفوا برهوما بإصلاح «البرمة»، في الشركة لإنقاذ العمال من شبح الطرد والبطالة.

➤ الطبيب والممرضة: كانا يراعيان صحة برهوم المتدهورة في السجن؛ نظرا لإصابته الخطيرة إثر إصلاحه للبرمة.

➤ مسلكة الأيام، طالب الهنى، قاصد الخير، الهادي: فرّوا من المجتمع ومن مشاكله؛ طلبا لراحة الضمير، سكنوا في المقابر لكي يتوارو عن الأنظار، استقبلوا برهوما عندما فرّ هاربا من المجتمع، وجعلوه فردا من منهم.

➤ الشرطيان والمفتّش: صادفا برهوما في مقر الشرطة، لم تكن تنطبق عليهم صفات الشرطي ك: «الصرامة، الانضباط والشجاعة».

* المرباط: في المخيال الشعبي الجزائري؛ هو مرتبة الولي الصالح الذي له الكلام الفصل والحكمة البالغة، ويطلب منه المشورة ويستأنس برأيه.

اتصفوا بالسذاجة والخوف والقلق، صوّرهم الكاتب "علولة" تصويراً كاريكاتورياً.

➤ الزائرة والسجين: كانت الزائرة مصدر المعلومات لزوجها السجين، لكل ما يجري في البيت وخارجه، أما السجين كان همه الوحيد هو أن تموت زوجته بالأكل، كما كان يزود زوجته بكل كبيرة وصغيرة تقع في السجن، من أحداث ومجريات السجن والسجناء، وكان يخبرها ببطولاته وشجاعته وصولاته في السجن.

➤ أيوب الأصرم: هو والد برهوم، صرامته اكتسبها من عمله كفلاح عند الكولون، كان رائداً للحركة النقابية ومشهوراً لدى الفلاحين والخماسين، كان ينشط في مدن غرب البلاد، أثار الإضرابات وعمل على حرق مخازن الكولون، كان ثورياً ومتمرداً على السلطات الفرنسية، لم ير ابنه «برهوم»، قبض عليه رجال الدرك، ومذ ذاك لم يعثر عليه.

➤ الفارزية: هي أم برهوم وزوجة أيوب الأصرم، عانت كثيراً قبل أن تلد برهوم.

➤ غانم: هو شقيق أيوب وعم برهوم ووالد الشريفة، تكفل بتربية ورعاية برهوم بعد استشهاد أخيه،

هو الذي لقب برهوم بهذا اللقب، بدلاً من دحام؛ خوفاً من السلطات الاستعمارية الفرنسية.

➤ حارس السجن: كان يحرس ويراقب السجن والسجناء؛ الذي كان فيه برهوم.

2.2 تواتر الشخصيات:

لقد تواترت الشخصيات في نص مسرحية «اللاثام»؛ بحسب موقعها ودورها في بناء نص المسرحية، وسنحصر تواتر الشخصيات في جدول إحصائي:

الشخصية	ذكرها في نص المسرحية
برهوم	ذكر
الشريفة	195 مرة
السي خليفة	90 مرة
	ذكر 64 مرة

الشرطي الأول	ذكر	26
السجين	مرة	17
الزائرة	مرة	16
الشرطي الثاني والمفتش	ذكر	13
الفيلاي	مرة	12
المرضة	مرة	11
أيوب الأصرم / البكوش	ذكر	10
لعرج/ مسلحة الأيام	مرات	9
غانم	مرات	8
الطبيب /الفارزية /القول	مرات	7
قاصد الخير	مرات	4
الهادي	مرات	3
طالب الهني	ذكر مرتين	
حارس السجن	ذكر مرة	
	واحدة	

3.أنواع الشخصيات:

1.3: الشخصية المرجعية (Personnage Référentiel):

وهي التي تحيل على معنى جاهز وثابت تفرضه ثقافة ما، بحيث أن مقروئيتها تظل دائما مقترنة بدرجة مشاركة القارئ في تلك

الثقافة ؛ ومن هنا نقول إن هذه الشخصية تشير على واقع خارج نصي ينتجه نمط اجتماعي ما.¹

وتدخل في هذا النوع من الشخص، الشخصية السياسية؛ التي قامت بأدوار سياسية على فضاء التاريخ ويمثل وجودها في النص علامة²

فلقد تقاطعت شخصية (سي خليفة)، الذي فرّ من الجيش الفرنسي ليحارب في صفوف الفيتناميين ، ضد الفرنسيين والأمريكيين، مع شخصية «هوشي مين» التاريخية والسياسية ؛ وهوشي مين شخصية تاريخية ورمز من رموز الثورة الفيتنامية ضد الاستعمار الفرنسي والأمريكي، يقول السارد عن (سي خليفة): «السي خليفة، هوشي مين الجار ما تحرك ما قاله كلمة»³ ونجد هذا التقاطع في هذا الملفوظ السردي: «السي خليفة كبير في السن... فر من الجيش الفرنسي... والتحق بالفيتناميين... دخل معاهم في المعارك وحارب فرنسا وأمريكا...»⁴ وكذلك في قول الناص: "...اللي يسميه لندوشين، اللي يلغاله فيتنام، واللي يسميه هوشي مين".⁵

فشخصية (سي خليفة)، المتمردة والثورية والمكافحة ضد الطغيان والاستعمار، تقاطعت مع شخصية «هوشي مين» المعروف في التاريخ الفيتنامي؛ بثوريته ومكافحته للاستعمارين الفرنسي والأمريكي.

2.3. الشخصية المجازية (Personnage Allégorique):

تتميز كل شخصية في أي نص روائي بصفات وملامح جسدية ومعنوية، يستطيع القارئ اكتشاف الصفات بسهولة؛ لأن السارد يعتمد فيها على التصوير الخارجي القائم على الملاحظة، أما الصفات المعنوية إنه لا يتسن للقارئ اكتشافها إلا من خلال أفعالها وأقوالها، وفي هذه الحالة تقوم الشخصية بإنجاز أفعال أو التعبير عن رغبة أو التظاهر بأمر ما وهي تبطن أمرا آخر، ويترتب عن كل ذلك انبثاق الشخصية وعلامتها⁶. وتجسد الشخصية في هذا الفرع صفة، أو عدة صفات معنوية مثل: الكره، الطمع، الحب، والغيرة⁷.

1 Voir, Dictionnaire de linguistique, Larousse, Paris, 1973, p111.

2 ينظر شريط أحمد شريط، سيمائية الشخصية الروائية (غدا يوم جديد)، مجلة السيميائية والنص الأدبي، عناية، ص 214

3 عبد القادر علولة: «من مسرحيات علولة» (الأقوال، الأجود، اللثام)، موفم للنشر، دط، 1997، ص 178.

4 المصدر نفسه، ص 179.

5 المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

6 ينظر، عبد العالي بشير، المرجع السابق، ص 57، 58.

7 ينظر، شريط أحمد شريط، المرجع السابق، ص 220.

وتتمثل الشخصية المجازية في مسرحية نص مسرحية «اللثام» في:

1.2.3. الاستغلال والانتهازية:

مثّل هذه الصفة المعنوية ؛ مسيرومؤسسة الورق، الذين كانوا يتظاهرون بالحرص على مستقبل المؤسسة والعمال، إلا أن أفعالهم خالفت ما كانوا يبتطنونه من انتهازية وعدم المسؤولية ؛ أفعالهم ترجموها في تحريمهم لإصلاح البرمة، وهددوا العمال بالطرد إن هم أصلحوها، واتصفوا بتغليبهم للمصلحة الخاصة على المصلحة العامة، تتبرز هذه الصفة المضمرة في هذا الملفوظ السردي على لسان (سي خليفة): «مصنعكم في خطر... ما يجيبوا صانع للبرمة ما يوفروا الوسائل الضرورية للمصنع... ناس دخلوا خار المصنع يخدموا ضد المصلحة العامة، راهم ضاغطين على مصيركم وعلى مؤسساتكم، ناس فيهم اللي يخدم القطاع الخاص، اللي يخدم راس المال الأجنبي، واللي يخدم في زوج، ناس صاري ليهم كالحنشي، اللي تترى في القلة... ناس لو يصبوا الطاقة يبيعوا المصنع على رسانكم، مصنعكم سوسوه، والبرمة سبة باش يوقفوا ثلاثين عامل...»¹.

إن هذه الملفوظات تفضح حقيقة هذه الفئة الانتهازية، التي وضعت قناع الشرف والأمانة، وهي تبطن شخصية مكيا فيلية.

2.2.3. الاندفاعية وروح المسؤولية:

نكتشف هذه الميزة في شخصية (الشريفة) في اندفاعها؛ هذه الاندفاعية تخفي شعورا بالمسؤولية وحبا للمصلحة العامة ؛ فهي استشعرت خطورة الأمر التي آلت إليه مؤسسة صنع الورق، واستشرفت مآل المؤسسة إن تركت لأطماع مسيريهما الانتهازيين، وجسدت شعورها بالمسؤولية بتهديدها لزوجها (برهوم) لفتح الباب للنقابيين الذين أتوا بمشروع إصلاح البرمة : «ها هو الشقور، لو كان ماتحلش عليهم الباب وتستقبلهم الليلة نفصلك... الليلة نظير لظ الشاشية، جايين يطلبوا منك تعاونهم فالخير للجميع وأنت هارب خايف منهم...»².

4. بناء الشخصيات:

1.4. البناء الخارجي للشخصيات:

نلاحظ في نص مسرحية اللثام أن المؤلف لم يهتم كثيرا بالرسم الخارجي لشخصه ؛ والسبب في ذلك؛ أن هذا النص المسرحي عدّ

1 عبد القادر علولة، المصدر السابق، ص ص 181، 182.

2. المصدر نفسه، ص 176

سلفا للتمثيل؛ فالميزات الخارجية للشخصيات معلومة ومشاهدة لدى المتفرج والجمهور، ورغم ذلك لم يمنع الطابع التمثيلي لهذا النص أن تتضمن بعضاً من الأوصاف الخارجية للشخصيات، كما في وصف المؤلف لبرهوم: «قعد ولد أيوب وعثّق سيقانه، حطّ لحيته على ركابه قطب حاوجبه وطبّش وذنيه...»¹ ووصف المؤلف انبهار برهوم بطريقة تكلم النقابيين، بكوش، الفيلالي ولعرج: «... بقي يتفرّج فيهم ويشرب في كلامهم بقي يشوف فيهم كيف يتناوبوا في الهدرة، كيف يميلوا على بعضهم كأنهم من كرش وحدة بقي يشوف فيهم كيف تقدم اللحية وتقساح الخزرة لما ينطقوا بكلمة أحنأ، يشوف كيف يتجعد الصدر وتفتح الذرعين لما يقولوا العدالة الاجتماعية»² ووصف سي خليفة وصفاً مقتضباً: «السي خليفة كبير في السن وفات الستين وعاش في حياته مغامرات غريبة»³.

ولكن الملاحظ أن هذه الأوصاف الخارجية للشخص، تترجم انعكاساً داخلياً للشخص؛ ففي الملفوظ الأول والثاني للوصف الخارجي لبرهوم تعكس فقدان ثقته بنفسه وانبهاره بالنقابيين، وفي الملفوظ السردي الثالث تعكس حكمة السي خليفة.

2.4. البناء الداخلي للشخصيات:

لقد أسهب المؤلف كثيراً في إبراز المكامن الداخلية لشخصه، ولقد أخذ برهوم والشريفة الحضر الأوفر في الوصف وتبيان خصائصهم النفسية، فلقد تميّز برهوم بالحياء المفرط والحشمة المبالغ فيها، وتميز كذلك بالشرف والأمانة والجديّة في العمل، ويتحلّى بروح المسؤولية، فيصفه "القول"، قائلاً: «محبوب برهوم الحشام بالكثير في الشركة الوطنية، حادق في الخدمة.. ما يغش في العمل ما يتأخر ما يتغيب على الخدمة»⁴ وهناك صفات فطرية تميز بها برهوم كالخجل والانعزال: «حشام برهوم وقليل وين يشارك قراينه في اللعب يعزل روحه ويبقى يتفرّج ثابت»⁵ ونفس البناء الداخلي لبرهوم نتمثله في هذا الملفوظ: «... برهوم إذا ينضر يبكي دخلاني ما يكمش وجهه ما يشغنن خاجول»⁶.

1، المصدر نفسه، ص 177.

2 المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3 المصدر نفسه، ص 179.

4 عبد القادر علولة، المصدر السابق، ص 163.

5 المصدر نفسه، ص 159.

6 المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

كما وصف لنا "القول" الأزمة النفسية التي ألمت ببرهوم، حتى كان قاب قوسين أو أدنى من الجنون؛ فلقد أصيب برهوم بكآبة وحزن وخجل مضاعف وانعدمت ثقته بالمجتمع؛ جرّاء الوضع المتعقّن للمجتمع يقول القول: «بالشوية بالشوية بدى برهوم يسكن في داخله الحزن.. عاد يظهر كللي من عقله مخبول... رجعت فيه الحشمة غازرة على اللي كانت... عاد قليل وين يتكلم... ولى مشكاك يظهر له كللي ناس راهم يعسوا ويتبعوا فيه... عاد يشك حتى في جيرانه... وفي ناس الحومة... عاد يلبس صباطه بالمقلوب باش يتلف الجرّة»¹. واتسمت الشريفة بميزة داخلية مختلفة عن برهوم؛ فلقد انمازت الشريفة بالاندفاع والقوة والغضب وهذه الملفوظات تبين صراحة هذه الخصيصة: «قضية كبيرة هذي يا برهوم... الجهاد يا برهوم الجهاد... اليوم الطايح أكثر من المواقف... اليوم البيت بالدم.. الدم اللي ما سالش عندنا هذوثلث عياد يسيل اليوم يا ولد الأبطال... اللي يستخطى اعتبة يبكوا مواليه»².

كما وصف الناص الفئة المدومة التي استأنس بها برهوم بصفات داخلية، اتسمت بالأسى والحزن والكآبة، كما وجد فيهم برهوم الأمن والأمان ووجد فيهم الثقة التي فقدوها في المجتمع: "... ناس الشر معدمتهم المصايب وعازلهم المجتمع.. غاترين في الأعماق فاقدين الأمل ويحببوا على أسفل الوجود..."³ كما وُصفت هذه الفئة المدومة بالثقة والسلم والأمان: «... تصاحب برهوم مع دوك الناس... وجد في وسطهم الثقة والسلم والهدنة»⁴.

الخاتمة

من خلال هذا البحث يمكننا أن نخرج ببعض النتائج المهمة على شكل نقاط محددة وهي كالتالي:

✓ لقد خرجت الشخص في نص مسرحية «اللثام» من إطارها النصي المكونة لعنصر النص المسرحي، إلى الإطار الدلالي والسردي؛ نجد أن السارد «علولة» ضمّن رسائل في بعض شخصه؛ فصور برهوم والنقابيين والشريفة والفئة المدومة؛ بالشرف والنزاهة والأمانة والثقة والمسؤولية، وهو يريد بذلك المجتمع الجزائري البسيط الذي عان من الانتهازيين الذين ابتزوه وابتزوا خيرات الجزائر،

1 المصدر نفسه، ص 220.

2 المصدر نفسه، ص 168، 169.

3 المصدر نفسه، ص 221.

4 المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وصور مسيري مؤسسة الورق بالانتهازية، وهو يريد بذلك الفئة الانتهازية التي نهبت خيرات الجزائر دون مراعاة الصالح العام.

✓ لقد ركز «علولة» على بعض الشخوص وأضف عليها طابع الكآبة والبؤس والشقاء والانعدام؛ وهي تلك الفئة المعدمة التي دخل في صفها برهوم واستأنس بها، وهو يريد أن يعطي رسالة اجتماعية؛ أن في المجتمع الجزائري فئة معزولة وكادحة، تنسم بالأمانة والثقة، بعكس فئة الانتهازيين الذين ينهبون خيرات البلاد، وهذا التصوير لا يخلو من الطرح الإيديولوجي، فهو يشير إلى ما يسمى بالبروليتاريا؛ أي الفئة العاملة والكادحة في الفكر الاشتراكي، التي تنافح ضد الانتهازية والاحتكار وتكافح ضد الطبقة البرجوازية، فهو يعالج فكرة اجتماعية وإيديولوجية، وينتقد استفحال البرجوازية في الجزائر التي كانت تعتمد على النظام الاشتراكي في فترة من الفترات التاريخية لها.

✓ من المنظور التكويني، نرى أن علولة صور لنا من خلال الشخوص أن الجزائر عاشت تناقضات سياسية واقتصادية واجتماعية إبان الأزمة الاقتصادية سنة 1986؛ فهو إذ يصور فئة الانتهازيين، فهو يشير أن سبب تأثر الجزائر بهذه الأزمة، هم الفئة البرجوازية؛ التي يهتمها فقط مصالحها الخاصة، في حين كان النظام السياسي في الجزائر آنذاك هو النظام الاشتراكي الذي لا يعترف بهذه الطبقة، وبسببها عانت الفئة العاملة الكادحة _ المخولة بتسيير المؤسسة _ ويلات البطالة.

✓ لقد نظر علولة نظرة ناقدة للمجتمع الجزائري، فهو يرى أن غالبية المجتمع الجزائري كان استهلاكي ولم يكن منتجا؛ الإنتاج كان محصورا فقط على فئة ضئيلة من المجتمع التي كانت تكد وتناضل في العمل؛ ففي نص مسرحية «اللثام» نكتشف أن غالبية عمال مؤسسة الورق لم يتجشموا عناء تغيير (البرمة)، وتركوا فئة قليلة تتوب عنهم؛ هذه الفئة القليلة هي التي تحملت إصلاح البرمة لحماية المؤسسة وحماية مصير العمال؛ فامتناع هذه الفئة العمالية الكبيرة في إصلاح "البرمة"، يعبر عن استفحال ظاهرة الاستهلاك واضمحلال قيمة العمل والإنتاج في المجتمع الجزائري في فترة الثمانينيات.